تجربة علي جواد الطاهر في الجامعة .. غربة المثال وبؤس الواقع

د. نادية غازي العزاوي

قد تختلف الآراء في تقييم تجربة الطاهر النقدية، وفي تقييم تجربته المقالية (النقدية والإنشائية) ولكن ثمة إجماعاً كاملاً على غنى تجربته الأكاديمية: تدريساً وتأليفاً وتأثيراً، وبالمستويين الأفقي والعمودي: الأفقي: بامتدادها الزمني العريض لما يقرب من نصف قرن (من عودته عام (١٩٥٤م) إلى ما قبل وفاته عام ١٩٩٦م) والعمودي: بفاعلية دوره فيها، ويصفه بعضهم بأنه «ثـورة في التعليم إبّـان الخمسينيات»، بينما لا يراه صاحبه –تواضعا– أكثر من إصـلاح – في أحسن الأحـوال–: «مضى في ذلك طبيعياً بسيطاً ولكنّ غرابة الحال عمّا يحيطها أظهرته وكـأنّـه مصلح أو ثائر»، وما بين (الثـورة) و(الإصلاح) كان الطاهر مؤمناً إيمانا راسخا بخطورة دور الجامعة في النهوض والتأسيس والبناء والـتحديث،كما هـو ملموس في الـدول الكبرى،فاعتصرته الموازنات المريرة بين وضع الجامعة في فرنسا – مثلا – ووضع نظيرتها في العراق، وبخاصة العطب الذي طال مقوماتها الأساسية:

الأستاذ

المناهج والطرائق التعليمية

الطالب

كان ينظر– بإكبار– إلى الأستاذ شخصا وأداءً لأنه محور العملية التعليمية وقلبها النابض، وقد تضافرت ثلاثة عوامل في الأقل على بلـورة هذا المنظور وترسيخه لديه:

١– الرؤية المثالية للمعلم، المعلم – الرسول المنذور لمهمّته بكل ما تنطوي عليه شخصية الرسول في النزاهة والترفع والإخلاص المبدئي والكامل للرسالة والسعي التام لنشرها وتطبيقها.

يقول الطاهر: فليس «كل من جلس على كرسي التدريس.. أستاذاً، الأستاذ علم وأدب وسلوك وشخصية» وهو «وحدة متماسكة لا تتجزأ ولا تتناقض»، وأستاذك «في المصطلح هو الذي يعلمك العلم، ولكنه فيما هو أحسنُ من المصطلح الذي لا يعلمك العلم وحده فيبقى–حينئذ– ماثلا في نفسك خلال تصرفك وخلال تعليمك ومن ثم ينتقل خالداً في الأجيال قولاً وعلماً».

٢– نفرٌ من الأساتذة الأجلاّء والأعلام تتلمذ عليهم في دار المعلمين العالية والسوربون أكدوا لديه هذه القناعة.

٣– استلهام معايير تجربته الشخصية في التحصيل والتدريس بالمثابرة والدأب والإنصراف الكليّ للهمّ العلميّ والعزوف عن كلّ ما يمكن أن يخدش حضور الأستاذ وهيبته.

يقول إسماعيل الشيخلي عنه عام ١٩٨٥م «تعود معرفتي بالصديق الدكتور علي جواد الطاهر إلى عام ١٩٤٨عندما كُنّا ندرس معاً في باريس، كان.. يعتكف بعيدا عن لذائذ باريس.. في غرفة تقع خلف السوربون ولا يغادر إلاّ لحاجات ضرورية جداً، كنا نحلم أن نراه في إحدى ساحات الحي اللاتينيّ أو مقاهيه، لهذا كنّا نزوره أسبوعيّاً في غرفته وهو منكبّ على المطالعة ودراسة الكتب، ولا اعتقد إن أيّاً منّا.. ينسى هذا الرجل الذي استهوانا جميعا بجديّته وكرمه ورقّته وعلو خلقه.. بعيد كل البعد عن صغائر الأمور.. كان كبيراً منذ ذلك الوقت، وهذا الانطباع الذي يعود إلى (٣٧) عاماً ما زال يترك لدي الانطباع ذاته: الكبر، التسامي، التجدد، الحيوية، متابعة الحياة الثقافية الجديدة..».

كانت مقالاته في تأبين أساتذته: مصطفى جـواد، محمد مهدي البصير، طه الـراوي، احمد المهنا – في غير التعليم الجامعي–، وفي تأبين زملائه: المخزوميّ وفؤاد سفر.. الخ مجالا خصباً لتقديم موازنات من هذا النوع: بين الأنموذج الناصع وبين الواقع النقيض، ويُستَفَزّ قلمه وينفعل وهو يرصد كل ما من شأنه الإخلاص بهذه الصورة المتعالية على واقع ينوء بمظاهر القصور والنكوص والإستهانة بالمسؤوليات العلمية والتربوية للأستاذ.

يقول عن أستاذه البصير: كان زاهدا راضيا بالقليل الذي لديه.. وانه لأرفع مما كان ينزل إليه آخرون من دينار هنا ودينار هنالك، وارفع حتى من أن يطالب بحقه إذا كان حقّه هذا يتصل بالمال وكانت المطالبة تقتضي قليلا من التنازل.. ولو كتب لك أن تكتب بحثا فيما عرف.. بالمحاضرات، وعقدت فصلا أو فصلين على الأساتذة الذين يوقّعون على ورقة الحضور مع الغياب، وفي دفتر المحاضرات مع كونهم في إجازة مرضيّة أو انتداب خارج العراق يوقعون ليقبضوا دون إقامة الدرس الذي يؤجرون عليه، لو كتب لك شيء من ذلك لعرفت معنى آخر للزهد وصلته بالأخلاق والعملية التعليمية، ثم تكتب الفصول الأخرى في جشع غير مبرّر وخصومات لا تليق في أسبابها ومظاهرها ونتائجها بمهنة يراد لها ان تكون من اشرف المهن.

وما أقسى ما عانى الطاهر حين كانت تنكسر هذه الصورة ويرتضي الإنسان لنفسه أدواراً تطيح برسوليته من عليائها، وتفيض صفحات كتبه بذكر أمثلة لهذه الخسائر الاعتبارية الفادحة ومن واقع معايشة دقيقة – ولا يُنبيك مثل خبير– يقول عن بعض معايشته في الدراسة في القاهرة: وأخذنا مقاعدنا، وكان في المراقبين الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي أمطرنا من قبل ونحن في العراق بكتبه الفلسفية تاريخاً ونظريات وأعلاماً، لقد كان ظاهرة في بابه غير ما صحب رسالته للدكتوراه عن الزمان الوجودي من ثناء أو إطراء وإعلاء، اجل ولم أرَ في حياتي كلّها من قبل ومن بعد اضعف من الدكتور عبد الرحمن بدوي في قاعة الامتحان، لقد كان نادلاً بين الطالبات يشرح لهذه السؤال بما يفيد العلم إن كان سؤالها في متناول معرفته، وينقل لتلك جوابا يختلسه من دفتر طالب نجيب، ويسمح لثالثة بفتح حقيبتها وإخراج ما يُعينها على الجواب، والرجل الفيلسوف فرح بمهمته، سعيد بفعلته، دؤوب في ذهاب وإياب وكأنه يرى النظرية واقعا والفلسفة تطبيقا.

ولا يستوقفه السلوك الشخصي في الأستاذ فحسب ولكنه يُعنى بالجانب الآخر أيضاً أعني: الجهد العلمي والبحثيّ فهما – عنده – وجهان متكاملان للعملة نفسها، ولهذا كتب في مجلة (الكلمة) – بعد ثمانية أعوام من التدريس في الجامعة – كلمة مؤثرة مؤرخة في (٤آب/٩٦٢) بعنوان دالٍ جداً: (اللقب العلمي يجب أن يكون علميّا) فيها إنذار مبكر لأدواء ستستفحل وتستشري في الجامعة العراقية سنة بعد أخرى وتصبح عصية على الحل والعلاج، أدواء قضت على الجانب الأكبر من الرصانة والسمعة العلمية المفترضة في أية جامعة، كتب مطالبا قيادة ثورة (١٤/تموز/ ١٩٥٨) بإصدار قانون على منوال (قانون الإصلاح الزراعي) هو (قانون الإصلاح العلمي)؛ لأنه يدرك جيدا إن ما يتهدّد المجتمع من أخطار علمية لا يقلّ فتكاً عن مخاطر الاستغلال والاستعباد الاقتصادي والاجتماعي للإقطاع إن لم تزد عليها، وأسئلة الواقع الجامعي البائس تحاصره وتقلقه انه يتساءل فيها: كيف أصبح هؤلاء الأساتذة أساتذة؟ عدد محدود منهم استوفى الشروط.. إن من بين الأساتذة من لم يؤلف طوال عمره كتاباً ومن لم يكتب بحثاً من قبل الأستاذية بسنوات وبعد الاستاذية بسنوات، ماذا كان يفعل الأستاذ في مدى عشر سنوات، عشرين سنة؟ وكيف كان يدرس؟ وكيف يمضي الـ٥٠ دقيقة؟.. وإذا كان الأستاذ لا يعرف أن يؤلف ولا يملك الصبر على البحث فلمَ لا يقرأ؟ لمَ لا يتابع ما يصدر؟ لم لا يشتري الكتب المهمة التي تتعلق بموضوعه؟ لم لا..؟ لم لا..؟

لقد صح ما قيل من إن فاقد الشيء لا يعطيه، ولكن احتمّ على المرء أن يكون أستاذاً؟ سُدّت عليه كل وسائل العيش فلم يبق إلا أن يكون أستاذاً.

ويسلط الطاهر الضوء في بعض مقالاته على العلاقة الوثيقة بين علمية الأستاذ وشخصيته وبين المرتكز الثاني للعلمية التعليمية أي المناهج والطرائق المتبعة في التدريس: العيب في المناهج، إنما العيب في تطبيقها، المنهج الدراسي في الجامعة يعطي إشارات للأستاذ والطالب معا، والمهم في الأمر كيف نفهم المنهج وكيف نطبقه بحيث يتحول من فقرات تظل محدودة مهما اتّسعت إلى أداة ترفع الطالب إلى البحث والتتبع والتقصي واستخلاص النتائج.

وان دور الأستاذ مركزيّ في ردم الحاجز النفسيّ بين الطالب والمـادة، والطالب والأستاذ بابتكار وسائل إغراء وتعزيز، ومن وراء ذلك قلب كبير راصد لكل من يستحق الرعاية من المواهب، يقول عن ذلك: أنا كأستاذ – وحتى حين كنت مدرساً في التعليم الثانويّ – ارتاح ارتياحاً غريباً لوجود موهبة حتى ولو في دفتر الإنشاء واعمل ما استطيع لتشجيع هذه الموهبة والاستعانة بالآخرين على تشجيعها.. وانطلاقاً من الاعتقاد بانّ هذه البواكير صادقة ابني الآمال.

لم يسع يـوما إلى حشو ذهـن الطالب بالمعلومات، بل حرص على أن يؤسس فيه وعياً بالذات وحضوراً وصوتاً خاصاً به وان ينمي فيه طموحاً نحو الاستزادة، ووجـد في تدريس مـادة (النـقد الأدبـي) فرصة مناسبة إذ راح يقيم درسه أولا على: ماذا قرأت؟ وما آخر ما قرأت؟ وما رأيك فيه؟ النص أولاً والنظريات والقوانين ثانياً وثالثاً، والنقاش دائماً وعن طريق النقاش يأتي الفكر والرأي.

وظل يعترف بلا عقد ولا مركبات نقص بالفضل لنخبة من المع تلامذته، يقول عن نفر منهم: كنت استفيد من طلابي، أخذت منهم وأعطيتُهم، في عام ١٩٥٥ درست جلال الخياط، عناد غـزوان، هـادي الحمداني، عصام عبد علي، حسن البياتي، كانوا يعطون الدرس شحنة خاصة.

وقال أشياء أخرى أجمل وأنبل واهم عن يوسف الصائغ وعبد الإلـه احمد،وعبد الجبار عباس، ومحمد حسين الاعرجي في مقالاته ومحاضراته على السواء.

وبالمثل اعترف له تلامذته بكامل حقوقه عليهم: بما غرس فيهم، وبما ايقظ وغيّر وطـوّر من شـؤون علمية وغير علمية، يقول د. محمد حسين الاعرجيّ: وما زلت أتذكّر ونحن في الصف الرابع من قسم اللغة العربية بكلية الآداب عام (١٩٧٠م/ ١٩٧١م) أنّ قصة (اللعبة) للأستاذ يوسف الصائغ كانت قد نشرت آنذاك، وكان هو قد انتخب ثلاثة طلاب كنت من بينهم يقرؤون القصة ويكتبون عنها نقداً أو ما يخالونه كذلك، حتى إذا ما تمّ ذلك وكتب الطلاب ما كُلفوا به في الموعد المضروب كانت المفاجأة، فقد تخلى الدكتور الطاهر عما يُخال تقليداً جامعيا وما هو منه في شيء حين ضيف مؤلف (اللعبة).. في صفنا يُناقش ما يُقال في قصته، ولم يكن ذلك قليلاً ولا معتاداً في الجامعة.

على أن دوره الإصلاحيّ أو الـثوريّ أو التثويريّ لم يقتصر على ما هو كائن في داخل الصف بل امتد إلى تفعيل الأنشطة الثقافية في خارجه لتجسير المسافة بين الخارج والداخل، فلا يظلّ من في الصف وما فيه حبيس جدارته معزولاً عن المجرى العام للثقافة في الخارج، ويشير هو وتلامذته – باعتزاز– إلى مبادرته في تشكيل «جماعة الإنشاد الأدبي بلا رئيس ولا أعضاء، نختار موضوعات الإنشاء الصالحة ذات الدلالة على أن تُلقى يوم الخميس مساء: مقال، نقد، شعر.

نطبع البطاقات وندعو المدارس والأدباء، كنت أقدّم كلّ من يشارك بمقدمة مناسبة، كـانـت الـقـاعـة تمتـلئ والإصـغـاء لافت للانتباه.. كانت عكاظاً حقيقياً، كنت في كل أمسية آتي بشاعر أو أديب من المتخرّجين: عبد الجبار المطلبيّ، لميعة عباس عمارة، بدر شاكر السياب ألقى قصيدة (النهر والموت). ولكنّه مثل أيّ مصلح أو مجدّد آخر في مجتمعاتنا النائمة أو النـامـيـة–لا فرق– اصطدم بأزمات الواقع الجامعيّ المتفاقم في العراق، وعقول القائمين عليه، والمتحكّمين في مفاصله ببيروقراطية وجهل وتخلّف وبعقد سياسية وحزبية متشنّجة وضيّقة الأفـق تـعـاورت جميعها على تحجيم بل تجميد دور الجـامـعـة الـقـيـاديّ، ولذلك كانت الأحزان تتسلّل إلى روحه سنة بعد أخرى وهو يشهد الانهيارات والتراجعات المنظورة وغير المنظورة، ولكنه – وفي أقسى المواقف – لم يسمح لليأس قط بان يخامره أو يهزّ قناعته ويقينه مؤمناً أنّ موهبة أيّ تلميذ واعد بارقة جديدة وبشارة لاستئناف الطريق، وحسبه إصداراً على الرسالة التعليمية الوطنية انه لم يغادر البلد للعمل في جامعه عربية أو أجنبية بعد أن أحيل على التقاعد –وكان بإمكانه أن يفعل كما فعل غيره–، وحسبه أنّه لم ينقطع فعلياً عن التأثير في الجامعة العراقية على نحو مباشر – وغير مباشر حتى بعد رحيله، لم ييأس كما يئس أستاذه الروحيّ (طه حسين) الذي آمن قبله بالجامعة و راهن عليها نواةً لمشروعه التنويريّ نحو نشر الثقافة في المجتمع ولكنّه انتهى بعد جولات من الصداع إلى إحساس مرير فتمثل في موقف ما بأبيات الحطيئة الشهيرة:

لقد مرِيتكمُ لو أنّ درّتـكم
يوماً يجيء بها مَسْحي وإبساسي
لما بدا لي منكم غيبُ أنفسكم
ولم يكن لجراحـي منكمُ آسي
أزمعت يأساً مريحاً من نوالكمُ
ولن ترى طاردا للحـرّ كاليـأس

رحل أستاذنا الطاهر.. وما زالت فصول الصداع مستمرّة بين الرؤية العلمية الطموح التي تسعى إلى الإعلاء من شأن الجامعة العراقية او إصلاح ما يمكن إصلاحُه من عللها وبين واقع تتراكم فيه عوامل الضعف والانحراف والتشويه والتزييف وتغيب فيه التقاليد العلميّة والتربويّة الرصينة.

ألقيت في الذكرى الثانية عشرة لرحيل علي جواد الطاهر / ٢٠٠٨م

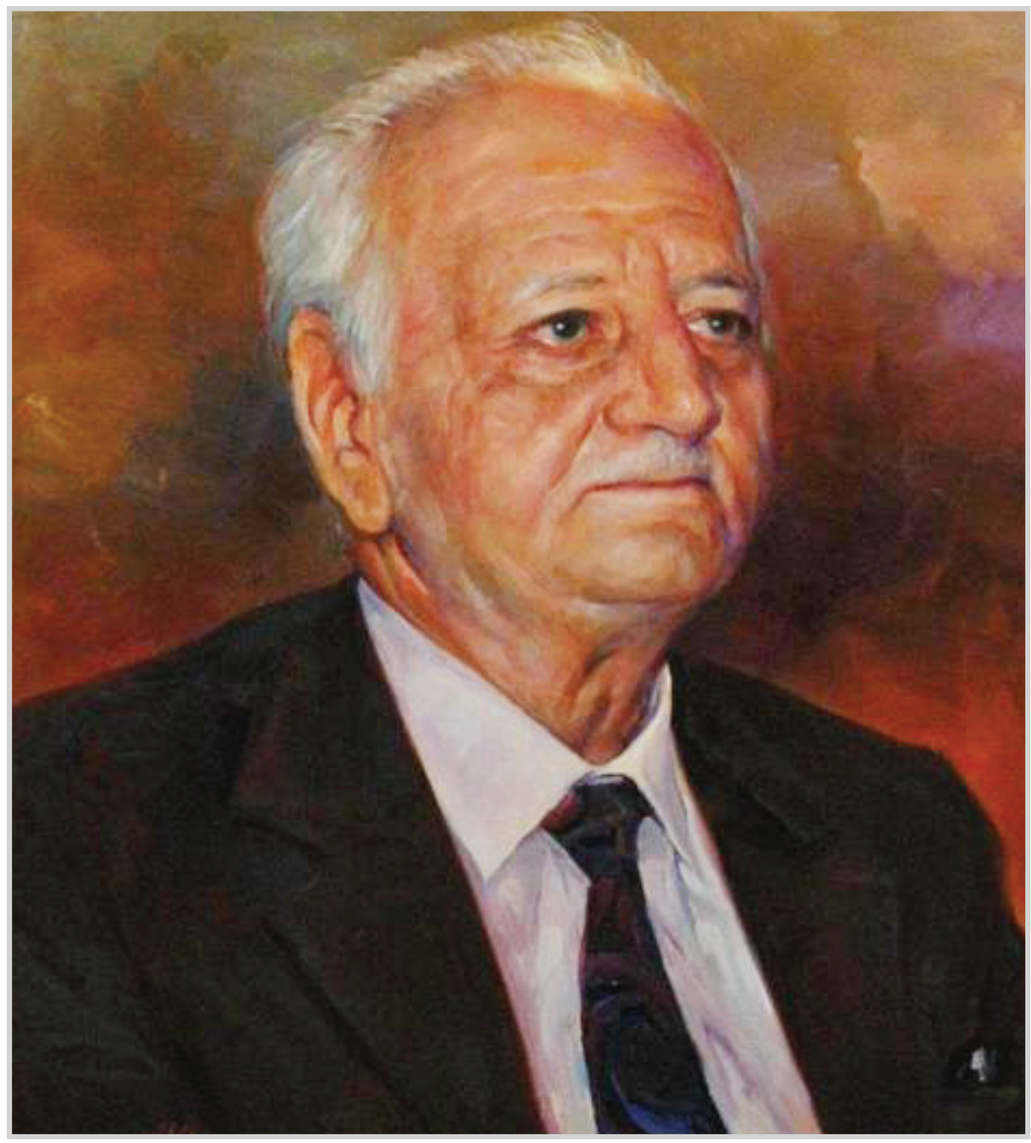

علي جواد الطاهر

فاضل عبد الواحد

عبد الخالق كيطان

قد لا أنصف الدكتور فاضل عبد الواحد في حديثي هذا.. ولكنني ألتمس منه العذر لضعفي وقلة حيلتي ومعرفتي بعلم من اعلام البحث العلمي والتنقيب في الحضارات العراقية القديمة.

لقد قرأت الكثير من المراجع التي ألفها الدكتور عبد الواحد فيما خص تاريخ الحضارات العراقية القديمة، ووجدتني في كل كتاب من تلك الكتب أتشوق للمزيد من هذا الباحث الذي نذر عمره وثقافته للبحث في أصول سومر وبابل، ولا غرابة في ذلك اذا ما عرفنا أن أستاذنا هو أحد أبرز القلائل في ميدان السومريات، وله في هذا الدرس باع طويل شهد بكفاءته الباحثون والدارسون على مدى عقود طويلة.

في عام ما قرأت كتابه المهم: الطوفان في المراجع السومرية، وهالني أن أكتشف من خلاله الكثير من المعارف التي أسهمت في تكويني الشخصي، فبدأت أنقب، مثل عالم آثار يقتفي أستاذه، في مؤلفات الرجل الذي أغني المكتبة العراقية بعدد من أهم ما أنجز في هذا المجال، السومريات تحديداً، ووجدت من المناسب حقاً أن ألقي ضوءاً ما على تلك المؤلفات فكتبت معرفاً بها في أكثر من صحيفة ومجلة عربية أو عراقية من تلك التي كانت تصدر في ايام المنفى العراقي قبل سقوط الديكتاتورية.. وبعودتي إلى بلادي سألت أكثر من صديق عن الأستاذ الدكتور عبد الواحد الذي تعرض للظلم والتنكيل في الزمن الماضي لأنه لم ينتم لحزب السلطة ولم يقبل أن يصير بوقاً من أبواقها العديدة، ولكن مفاجأتي كانت كبيرة حقاً عندما علمت أن الأستاذ الذي تربت على يديه أجيال من الطلبة في جامعة بغداد هو الآن طريح الفراش ويدبر قوت عياله بالكاد.. لقد حلم عبد الواحد مثلما حلمنا جميعاً بنهار الحرية.. نهار البلاد الذي يكرم فيه العلماء والمبدعون فينالوا الجزاء الشكور لما قدموه لهذه البلاد وأهلها وهم يفنون سنوات أعمارهم في بحث هنا واكتشاف هناك، ولكن الأمر المؤسي حقاً في أن تظل مؤسساتنا الثقافية ومن يديرها على عجزها القديم في تكريم هؤلاء التكريم الذي يستحقون دون منة أو مكرمة بل عرفاناً بجهودهم الوطنية بالغة الأثر.

وإذا ما بقينا نجتر الأحاديث عن قيمة منجز يقدمه هذا العلم أو ذاك من أعلامنا المعاصرين دون أن تنتبه الدولة الجديدة لأهمية الناس وتوفير مستلزمات العيش المناسب لهم فإننا سنكون قد عدنا بالموضوع إلى درجة الصفر التي لا ينفع معها لوم ولا تأنيب، وبالتالي فإننا سنجد عذراً لأولئك الذين يحنون من بيننا لأيام الديكتاتورية المقيتة وسنواتها العجاف الظالمة.

الدكتور فاضل عبد الواحد نموذج للعراقي الذي قدم لنا عصارة جهده وعقله، عصارة عمره ليديم مشروعنا الحضاري، ومن واجبنا جميعاً أن نقف اليوم ونقدم له أكثر من باقة ورد وهو يعيش بيننا بوضع صحي حرج.

فرجينيا وولف .. سباق الرواية مع الموت

إبراهيم سبتي

في بداية ظهور موجة الرواية الحديثة، ظهر ملازما لها مصطلح تيار الوعي او المونولوج الداخلي، المصطلح الذي غير مفاهيم الرواية تغييرًا مهما سيما ان الكتاب الذين مارسوا كتابة الرواية جعلوا من تيار الوعي شاخصاً أمامهم لابد من الوصول اليه في رواياتهم، فاوغلوا في تصوير اعماق الشخوص وخباياها وجعل مكنونات الذات في متناول التشريح والتفصيل في السرد مما يعد خرقا للمألوف الروائي الذي كان سائدا، ويبدو ان جماعة الرواية الجديدة الانكليز، جددوا في شكل واسلوب الرواية في عصر كانت الرواية في اشد تمسكها بالمدرسة الكلاسيكية المعتمدة على السرد الواقعي، لكن جيمس جويس وهنري جيمس وفرجينيا وولف، وضعوا لشخوصهم وصفات جديدة كالاغراق في الكآبة والدوافع النفسية المؤدية الى الانفعال الشديد والحافز الانساني والعاطفي منضوية تحت زمن آخر لم يكن معهودا وهو الزمن المتجدد او فكرة تحطيم الزمن والغاء التراتبية المعروفة له، لقد شعرت وولف في بداية حياتها الروائية، بانها قد لاتصل الى موهبة جويس مثلا.. ولذا كان لزاما عليها ان تنظر له بعين الغيرة سيما انه استطاع ان ينجز مطولته (عوليس) ويقدمها للطبع عام ١٩١٨الى دار النشر (هوجارت) او هو غاربريس التابع لها والذي اسسته مع زوجها في عام ١٩١٦، ولكنها بدلا من ان تاخذ الامر على محمل الجد وتطبع الرواية، انهالت بالسخرية على موضوع الرواية وراحت تتندر على شخوصها وتستهين بقدرات جويس نفسه.

فرجينيا وولف

واعتقد جازما بان وولف كانت تخشى سطوة جويس الروائية في الوسط الادبي الانكليزي مما يؤثر فيها كروائية عرفت طريقها الى الفضاء الروائي الجديد بصدور رواياتها الاولى رحلة الى الخارج عام ١٩١٥ والتي وصفت بالتقليدية الى حد ما ويبدو ان تأثير عملها الصحفي كان واضحا فيها والمعروف انها بدأت صحفية في ملحق التايمز الثقافي، وبذا لزم عليها ان تواصل السير الروائي بمحنة الوصول الى مستوى كبير يضاهي ما وصل اليه روائيو عصرها.. كانت دار النشر الخاصة بفرجينيا وولف قد طبعت ديوانا شعريا لاليوت (الأرض اليباب) عام ١٩٢٢ولم يكن معروفاً بعد في الاوساط الشعرية انذاك وحقق الكتاب شهرة عالمية بعد سنوات قليلة.

وطبعت روايات وقصصاً لأسماء مغمورة ومواهب شابة انكليزية مثل كاترين مانسيفيلد، كما قامت بطبع جميع اعمال فرويد وطبعت مجموعة قصصية خاصة بها.. اما من الادب الاجنبي فقد طبعت لمكسيم غوركي والشاعر الالماني ريلكه وبايلر وهنري مود.

وجاء في أسباب رفضها لنشر رواية جويس انها كانت غارقة في الرتابة!! مع ان الرواية عند طبعها خرجت من حدود دبلن مدينة جويس الى كل العالم فاصاب وولف صدمة عنيفة اضيفت الى صدماتها التي كانت تتوالى عليها سواء العائلية او العاطفية ومن ثم الادبية، ويبدو ان وولف اقتنعت بتفوق موهبة جويس عليها، فاتخذت قرارها القاسي بعدم نشر الرواية كرد فعل للتفوق الروائي والمهارة العالية والاسلوب الفني الجديد الذي كتب به . ولم تكن تسخر من جويس بقدر ما كانت تسخر وتشم روائيين آخرين كانت لهم حظوة في المجال الروائي وخاصة اولئك الذين كانوا يكتبون بالانكليزية.

في العشرينيات، فيما كانت لندن تعيش ايام الازدهار الروائي والشعري مقارنة بالمدن الأوروبية الاخرى، بدأت حركة القراءات والنقد القاسي لجميع الاعمال الأدبية التي ظهرت لكتاب معروفين او ناشئين على حد سواء.. وكانت فرجينيا وولف تنتقد بكثرة الاعمال الروائية خاصة تلك التي تأخذ حظها الجيد من النقد في الصحافة اللندنية.. فكانت ترد ساخرة على اغلب الاعمال المنقودة والناجحة بكلمات تطلقها في جلسات او حلقات نقاشية ادبية بحذلقة وقدرة عجيبة كي لا تثير الاخرين لحساسيتها المفرطة تجاه تلك الاعمال الناجحة فنياً.. ولما كانت وولف لم تنتج طوال حياتها الادبية القصيرة غير واحد وعشرين كتابا في الرواية والقصة والشعروالمقالات الصحفية والنقدية، فانها تعتبر نفسها من المقلين في الانتاج الادبي الانكليزي عامة اضافة الى اعتقادها بانها لم تشتهر كالاخرين الكبار الذين كتبوا في زمنها.. تلك الوساوس اثرت كثيرا في حياتها الخاصة التي اثارت نوعا من النزعة التصغيرية والنظر للاشياء بغير حجومها.. فهي تنظر للادباء الشباب كقمم ادبية وتنظر الى كبار الكتاب بان اعمالهم رتيبة وغير مفهومة، ويبدو ان ما اصابها من هوس وخوف من عدم بلوغ المجد الذي كانت تحلم به، انه أدى بها الى رفض الحياة برمتها باعتبارها غير مجدية وغير نافعة لها مهما بلغ انتاجها الادبي من آفاق ومراتب برغم انها جددت كثيرا في الرواية وتركت بصمة مؤثرة في التقنية الحديثة من سرد متدفق ومتغير وزمن متداخل وهوس الشخوص وانفعالاتهم والغور في دواخل لم تكن معروفة ولم يتسن لاحد الابحار فيها لصعوبتها ولانها تحتاج الى ثقافة نفسية خاصة.

كتبت فرجينا وولف اول اعمالها وهي في الثالثين من عمرها واول نشر لها كانت رواية رحلة الى الخارج او في ترجمة اخرى (نهاية الرحلة) وهي في الثالثة والثلاثين من عمرها وهكذا انطلقت في عالمها الروائي والادبي بعد استيعابها لمفهوم الرواية التي كان لابد لها ان تكتب في عصرها.. وهذا ما يفسر لجوءها الى عوالم الإنسان المكبوت والمستفز والغارق في الاحباطات النفسية بعد ان انتشرت في عصرها نظريات علم النفس لفرويد وتأثر كافة الكتاب بها على نحو واضح، وكان من الطبيعي ان تكتب وولف متأثرة بأجواء علم النفس الجديد الغائر في وعي الإنسان وبواطنه وخفاياه كما هو حال روايتها (السيدة دالاواي) التي تبدأ وتنتهي باسترجاع ذكريات واسترسال مباشر للاحداث في لحظة قيام السيدة دالاواي بالتسوق والسير في شوارع لندن لاعداد حفلة المساء.

وفي رواية لاحقة هي اورلاندو تتخطى وولف السائد المطلق كليا الى عالم الرواية الاكثر انقلابا في المسيرة الرواية المتعلقة بتيار الوعي بمعرفة تامة بعوالم التخيل الانفلاتي وهي عوالم من الرمزية لبطل ذكوري سرعان ما يتحول الى امرأة.

وعن رواية «اورلاندو» كتب خورخي لويس بورخيس يقول: «يبرز في هذه الرواية – يقصد اورلاندو – الانشغال بالزمن. وأعتقد أنها الرواية الأكثر تميزا بين كل الروايات التى كتبتها فرجينيا وولف، واشدها غرابة ويأسا، وبطلتها تعيش ٣٠٠ سنة، وتصبح في بعض الأحيان رمز انجلترا، وشعرها بالخصوص. وفى هذه الرواية المدهشة تمتزج المرارة بالفرح والسحر (المصدر حسونة المصباحي، العرب اون لاين).

وتلجأ وولف الى العبث بالزمن في رواية اخرة هي (الامـواج ١٩٣١) والتي تدور احداثها في يوم واحد من خلال ذكريات وحوارات داخلية تتعلق بشخص ميت ويتناوب الزملاء الستة بعرض مونولوج داخلي واستظهار المبطن المكتف تحت عباءة السرد، فتداخلت الازمة وتكسر السرد وهكذا تتعامل وولف مع جميع الزملاء بنفس التقنية المؤثرة.. لقد اعتبر بعض النقاد الانكليز ان تيار الوعي عند وولف يتجلى واضحا في تلك الرواية التي اقتطعت لها مكانا مهما بين روايات عصرها وهي ترجمة بالغة لعذابات واجلاء الدواخل الإنسانية المكبوتة، وربما ايقنت فرجينا وولف بأن الرواية الانكليزية قدرها ان تسير وفق معايير جديدة اكثر بعدا عن الرواية الكلاسيكية، فاتخذت لنفسها تابوا روائياً مختلفاً كلياً عن الاخرين الذين ربما سبقوها الى عالم الحداثة، الا انها كانت اجرأ كاتبة نسائية في خوض تفاصيل الحبكة المتداخلة ذات الالتـواءات المختلطة بالمكان المتغير والزمن المتداخل، وهي مهمة صعبة لكاتبة ورثت تالا من الروايات القديمة التي صارت تاريخا يعلوه الغبار ليس الا.

أصيبت الروائية فرجينا وولف بمرض الهوس الاكتئابي وهو مرض الشعراء والكتاب والقت بنفسها في نهر اوزو منتحرة بعد أن أثقلت جيوب معطفها بالحجارة الثقيلة في ٢٨/آذار من عام ١٩٤١، وتركت اعمالا روائية وشعرية وكتب مقالات نقدية واهم رواياتها كانت: نهاية الرحلة ١٩١٥، الليل والنهار ١٩١٩، غرفة يعقوب ١٩٢٢، السيدة دالـواي ١٩٢٥، اورلانـدو ١٩٢٨، المنارة ١٩٢٥، الأمواج ١٩٣١، فلاش ١٩٣٣، بين الفصول ١٩٤١.

متابعة

المؤتمر السنوي الخامس للنشاط المدرسي في بابل

عامر صباح المرزوك

استطاعت مديرية النشاط المدرسي في المديرية العامة لتربية محافظة بابل ان تتميز بنشاطها المتنوع في تقديم المسرحيات واقامة المعارض التشكيلية والمسابقات الشعرية والخطابية بين المدارس واعداد الابحاث ومناقشتها ، بل وسعت نشاطاها هذا العام حيث اقامت في الاسبوع الماضي نشاطا يخص النشيد المدرسي شاركت فيه اربع محافظات مجاورة.

وتحت شعار (النشاط المدرسي عطاء دائم وإبداع متواصل) أقامت مديرية النشاط المدرسي في المديرية العامة لتربية محافظة بابل مؤتمرها السنوي الخامس يوم الأربعاء ٢٠٠٨/١٢/٢٤م.

افتتح مدير تربية المحافظة المؤتمر بكلمة اكد فيها على دور النشاط المدرسي في تركيز الوعي الفني والثقافي للمدارس والفعاليات التي تقام في المحافظة، تلتها كلمة مدير النشاط المدرسي وجاء فيها: يذكر التاريخ ان العراقيين كلما زاد الضغط عليهم زاد إصرارهم على التمسك بالحياة، وبابل عاصمة التاريخ والحضارة، مدينة عراقية عرفت بثقافتها ومثقفيها، وضمن فقرات المؤتمر تم تكريم ثلاثة من رواد النشاط المدرسي، وقد قدم خلال المؤتمر عدد من البحوث حيث قام الباحثون بقراءة ملخصات بحوثهم واهم الاستنتاجات التي توصلوا اليها من خلال بحثهم، ثم تمت مناقشة البحوث من الحاضرين وهم: د. صفاء السعدون ود. اياد السلامي واحمد مكي وعبد الهادي عباس وناهض الخياط وابراهيم يوسف وسمير يوسف وعبد الامير رباط ود. بدر السلطاني وعلي محمد ابراهيم.